مَـــــن أنـــــتـــــم ؟

هذا السؤال واحد من أخطر الأسئلة في عالم السياسة اليوم. كما هو من أخطر الأسئلة في الأمراض النفسية وأخطرها في عالم الخرافة وصناعة الأساطير.
سلطان
حاكم
وال
أو مَلك
يسأل شعبهُ الثائر الصاخب حوله: "من أنتم؟" هو لا يعرفهم. هو يعرف نفسه وحاشيتَه وحرَسَه وحساباته. هو يعرف الضباط المقرّبين له والقتلة المحترفين من رجال مخابراته وأمنه.. هو له الصفاء والهدوء وجريان الأمور على ما يرام. الأتباع، الحاشية وحافظو ذلك الأمن والهدوء، لهم جدوى إبعاد الوجوه الأخرى والأصوات النشاز. لهم هبات وحسابات و"مكرمات" كما كانوا يسمونها في العراق.

ياسين طه حافظ

أذكر مرةً وأنا أعمل في "طبرق"، نشرت مجلة اسمها "لا" كلمةً صاغتْها بشكل مزْحة لطيفة لتبعد عنها الشر. نشرت هذه الكلمة إثرَ توزيع الحاكم أنواعاً من السيارات الحديثة على أتباعه من القادة والضباط الكبار فالأصغر منهم وعلى المدراء المهّيمن.. كلاً ومستواه. فهذا النوع للقادة الكبار وهذا لمن دونهم درجة وذلك لفريق ثالث... فعقّبت المجلة: "أما نحن، فنحن "البدون"! وطبعاً في هذا إشارة لمن يعيشون على الحدود الكونية قرب العراقية، الذين لا يعترف بهم مواطنين كاملي الحقوق ولا يُمْنَحون جنسية البلاد..

وبعد ان أنشأ القائد الليبي، بدء حكمه، المجمعات السكنية وهيّأ بعض متطلبات الحياة الأساسية، المدنية، ظن نفسه قد أدّى ما عليه وعليهم الآن أن يخضعوا. لقد جعلته السنوات التي تلت، سنوات الدائرة المغلقة، جعلته من بعدٍ يعيش، لا يرى الناس بوضوح. يراهم، بشراً مدقعاً لا قيمة له في الشوارع، ثم صار يراهم ظلالاً تدبّ وتختفي. هو عقليا، وهو نفسياً، ما عاد يرى أحداً خارج بلاطه أو مقرات حرسه أو في منشآت النفط. هو يرى ضباطاً وأبراجاً وبواخر تنقل النفط بهدوء وبانتظام. المتوسط هادئ جداً ولا ما يزعج الناقلات. لا يشغل فكره بـ كم ناقلة خرجت من طبرق ولا كم ناقلة خرجت من الزاوية ... العوائد تأتي وهو آمن. وفضلا عن مخابراته، تساعده مخابرات "مبارك" ومخابرات "بن علي".
إذن هنالك مراكز حراسة واحد في الشرق وآخر في الغرب، والثالث المركزي في الوسط. ليبيا تنعم بالهدوء بشهادة الجميع. الهيبة كاملة ولا أحد يمسّ الثروة. المتوسط الليبي مزدحم بالأسماك. لا مشاريع صيد كبيرة. واحد صغير في الأقاصي. ذلك يكفي. "لدينا نفط نصدّره لا نحتاج إلى تصدير سمك"!
ومدن البلاد الكبرى كلها مدن ساحلية من شرق البلاد إلى شمالها إلى غربها. لكن لا نقل بحري ولا سياحة بحرية، أو برّية. السيّاح يفسدون المدن، الناس هنا على الفطرة. نريد حمايتهم. هي إذن "محميّة طبيعية للبشر" لن يمسّ براءتهم خدش، نحن حراسهم! أكثر من هذا، صقلية على بعد خمسمائة كيلو متر من الساحل الليبي ولا احد يصل صقلية .. هكذا تُحْكم البلاد.
هذا الرجل لا يخلو من فطنه ولا يخلو من ذكاء. وهو ظريف حتّى انه يجعل المجزرة البشرية طرفةً تاريخية. إسقاط طائرة بعشرات ركابها فوق سكوتلندة، نكتة اشتهاها مزاج، ولماذا الغضب، نعوّضهم، ببضعة أكياس من الدولارات .. هو بهذا حاكم حقيقي ليس في رأسه غير خيالاته وأفكاره ومشاريع مستقبلٍ ليس مهماً متى يجيء. بعد هذا، ليس غريباً أن يقول أنه يقود "أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل والعالم!"
القذافي وأمثال القذافي، صناعة دولية لعبور مرحلة. اختارته من بين ضباط الجيش الليبي، حين رأوا الملك السنوسي قد شاخ. رأوا هذا الضابط الشاب يصلح لأن يكون "حارس آبار"، وإلى حين يتضح استراتيج آخر. لن يكلمه أحد طوال هذه المرحلة. ما يريدونه منه هو حماية آبار النفط وليفعل ما شاء بشعبه ...
وليس من طريق لينام حارس الآبار بهدوء إلاّ بتغييب الناس عن المشهد وقطع كل صوت. إذن هو لسنين طويلة حاكم الأرض الليبية الشاسعة، صحرائها والنفط والبحر. وانه في مقرّه معبّأ رأسهُ بالخيالات والسلطان. ليس غريباً بعد هذا أن يسأل، وهو يرى ناساً خرجوا من حجور بيوتهم إلى الساحات : "من أنتم؟" سؤال مفزع وفيه دهشة إنسان مشوّه في غير عالمه الحقيقي.
أيها القائد !
هؤلاء بشر من لحم ودم ويتكلمون اللهجة الليبية وهم شعبك الذين تحكمهم، الذين صرتَ قائداً لهم، هم شعبك أيها القائد!
لكنه لا يعرفهم ولا يعرف من أين جاؤوا، فصرخ ، كما تراجيديا شكسبيرية، بسؤال حقيقي وعبر المسافة التي كانت فراغاً : "من أنتم ؟"..
صرخ تماماً كما يصرخ رجل يعيش في جزيرة قفر ويرى بشراً يملأون الجزيرة !
جانب من محنة البشر و إشكال الحكام تكشفه الصناعة الأدبية: هنا صناعة أسطورة أو صناعة بطل روائي، لا يريده الكاتب خلواً من امتياز الإثارة ومن إثارة الاستغراب أو الحيرة وتعدد التفاسير .. لدينا الآن فسحة لحصول أكثر من رأي، وطرح عيّنة للدراسة. فهنا إنسان كان اعتيادياً. تسلّط عليه وَهْم فمسح من بصره الدنيا وجعل ناسها ضئيلي الحجوم ثم صاروا يبدون أمامه خنافس أو هوام. صغروا أكثر في عينه، لم يعد يراهم بالعين المجرّدة ، صاروا ، بلغته ، "جراثيم"! مقابل ذلك، تنامى حجمه هو، صَار يرى نفسه بقامة هائلة وقوة فعل هائلة وطاقة تدمير هائلة فهو يقود أفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم ويستخرج بترولاً ويُسقط طائرات. وكل هذه الفيافي الشاسعة والآبار والمدى الأزرق الذي يتصل بالعالم، كل ذلك بإمرته وتشكّل عظمته مع عظمتها رباعية الموت والحياة. تلك الثلاثة الآن: الصحراء وآبار النفط والبحر مكمّلات مربع السطوة الذي لا يكتمل إلاّ به، ركنها الرابع والمهم!
هنا أتذكر "موسوليني"، حين وقف على الساحل الليبي وراح ينظر من خلال منظاره الحربي بعيداً وينظر للخارطة، ثم يرفع رأسه ينظر بعيداً وفجأة صاح:
"هذا مُلْكٌ يحتاج إلى رجلٍ شجاع يضعه في جيبه!"
واندفعت قوّاته في الأراضي الليبية.. روح "موسيلني، وبأس رومل، لا ذكاؤهما، حلا في جسد القائد الليبي ورأى نفسه قادراً على احتواء العالم فاستغرب من وجود مخاليق صغيرة، بحجوم "الجرذان"، تملأ الساحة وتعيق سطوته. فصاح ناهراً محتقراً أو مُزيحاً ومتجاهلاً:
"من أنتم ؟"
الجماهير الزاحفة لم تقل له مَنْ هي. ولكنها رفعت لافتات ورفعت علماً قديماً كان قد أنزله من السارية يوماً ليرفع بدلاً منه خرقة خضراء ظنها تكتسح العالم ...

وجهة نظر

صـــنـــعُ اللّه فـــي الـــعـــراق

عبد الكريم يحيى الزيباري

الشاعر الأمير لا يرى غير سلبيات السلطة، وشاعر الأمير لا يرى غير محاسنها، ولكلٍّ أنصارٌ ومريدون، وإنْ تناقشتَ مع شاعر الأمير، أو أحد مثقفي السلطة، سيجدُ ألف تبرير لأخطائها، ويظل يهذي، ويثرثر، فهو يعتبرُ أدنى نقد للسلطة التي ترعاه، تهديداً لمصلحته الخاصة.
والمثقف يملك سلطة يقرعُ بها سلطة الحكومة، بيْدَ أفكاراً قد تكون بنّاءة، وقد تكون هدّامة، وغالباً ما يجدون مَنْ يُصغي إليهم، ولهذا ترى السلطة في المثقف شرّاً ضرورياً، من المحتّم، احتواؤه، وإذا قاوم تُحَجّم دوره، بمنعه من دسّ أنفه في ما لا يعنيه، أو منافسة الحكومة في دورها راعيَة وحامية المصلحة العامة.
الشاعر الصعلوك حسين مردان يسأل صديقه فوزي كريم (يُقال إنّي شاعر وطني! هل تُصدّق ذلك؟ – عليَّ أنْ أجدَ معنىً لذلك أولاً، حتى أصَدّقهُ أو أكذّبُهُ). معنى الشاعر الوطني غير ثابت بحسب الرائي، وحسب العصر، ففي زمن البعث، هو الشاعر مدّاح القائد الرمز، مدّاح المعارك العبثية، ومصطلح المصالحة الوطنية الذي يتردّد كثيراً في تصريحات ساسة العراق الجديد، يحتاج إلى فوزي كريم وسؤال كهذا، وإذا كانَ الشاعر الصعلوك، يمتاز ظاهريّاً بعدم الاهتمام بثيابه أو هيئته، وإدمان الخمر ربما، ولا مبالاته، وداخلَيا بالاغتراب الداخلي، والتمرد ضد المجتمَع، والصمود في وجه السلطة الغاشمة، فهذا صباح العزاوي وهادي السيد كانا نزيلين دائمين لدى مديرية الأمن، حتى وهما طليقان ينامان في مزبلة قربها، كإدانة رمزية للتعذيب والقمع. وهذا الشنفرىّ الشاعر الصعلوك، يقول(نحن الصَّعاليك الحُماةُ البُزَّلُ/ إذا لَقينا لا نُرَى نُهَلّلُ). وهذا جان بول سارتر يقود التظاهرات، ويَزجُّ به في السجن بسبب مواقفه ضد السلطة الحاكمة، ويقول(المثقفون مذنبون كبار، لأنَّهم خدعوا الشعب في الظروف الخطيرة كافة)، وغيره الكثير، والأكثر منهم مثقفو السلطة، الذين لا يقدرون على قول لا، لسلطةٍ احتضنتهم، ووفرّت لهم كلَّ شيء، ولكن مبارك في أوج قوته، يحرجهُ صنع الله إبراهيم برفض جائزة الدولة، أمام الملأ والبث المباشر، قائلاً: أرفضُ الجائزة لأنَّها ممنوحة من سلطة غير شرعية!!.
هل حدث في عراق البعث، أنْ رفضَ مثقفٌ لتكريم السلطة؟ هل حدثَ في عراق اليوم، أنْ رفضَ مثقفٌ تكريماً من وزارة الثقافة؟
وقرأ صنع الله، في ورقة أسباب رفضه الجائزة، ومما قال(لا يراودني شك فيَّ أن كل مصريَ يدرك هنا في هذه القاعة حجم المأساة المحدقة بنا جميعاً، ولاسيما في سياسة حكومتنا الخارجية، ولم يعد لدينا مربع واحد ولا متر لم يدنسه الأعداء، فلم يعد لدينا سوى صندوق الأكاذيب والفساد والنهب، واختفت الأبحاث العلمية والصناعة والزراعة وتفشى النهب، ومن يعترض يتعرض للسحل والضرب).

من البرج العاجي

بيت بيت، زنقة زنقة....

فوزي كريم

كل الرؤساء العرب لا يحبون الموسيقى الجدية، باستثناء السلطان قابوس على حد معرفتي. وهو أمر لا عيب فيه، ولا يتطلب الأمر من زعيم سياسي أن يشغل قلبه وعقله بالموسيقى. فله قدوة بأكثرية المثقفين العرب الذين لا يرون جدوى من هذا العنت في ملاحقة الإيقاع واللحن والهارموني في الصوت، من أجل مزاعم في إغناء الروح والعقل. إلاّ أن القذافي ينفرد عن الجميع باحتقاره الموسيقى الكلاسيكية. ولقد أنجز في الثمانينيات فعلاً لم يجرؤ عليه أحد من قبله، على عادته، ولا أحد من بعده. لقد أصدر أمراً للشعب الليبي بأن يُخرج أية آلة موسيقية غربية في حوزته، إلى الساحات العامة، من أجل محرقة عامة. فهي في نظره رُسل تخريب تسعى إلى هدم ما ظل يحاوله من استنارة عبر كتابه الأخضر. ولقد خرجت إلى الساحات العامة أثمن آلات البيانو التي خلفها الإيطاليون، هكذا أتخيل. فهي وحدها التي لا يمكن حملها بيسر إلى الخارج. وكذلك أجمل الآلات الموسيقية الأخرى التي ألفتها الطبقة الوسطى، والتي كانت تنمو ناشطة في البناء، في عهد الاستقلال وبناء الدولة الدستورية.
أخرجها الناس بدافع الخوف، لا دافع الاستجابة لعسكري أحمق. وكأني بعملية الإحراق لا تعدو استلاباً لآخر تنهدات الروح المتعافية التي تبقت للشعب المقموع.
الدكتاتور يرتاب من الطريقة غير المرئية التي تُربي فيها الموسيقى الكلاسيكية روحَ الكائن الأعزل. فهي توسع بالتجريد الصوتي العجيب من أفق الكائن الإنساني بالقدر الذي يبدو فيه أمام السلطة القمعية عصياً على أن تتصرف معه كشيء. الدكتاتور يرتاب، ويدفعه ارتيابه إلى هاجس أن الموسيقى الجدية لا بد من أن تكون ملغومة بالأسرار، وأن الغرب المتآمر عليه، يمكن أن يتسرب عبر آلاته الموسيقية المستوردة.
كانت سياسة الروسي ستالين لا تختلف في النوع، بل في الدرجة. حين طلعت ثورة أكتوبر على الناس، كانت ملامحها مزدانة بكل تطلعات وأنشطة الحركات الطليعية في كل الفنون. تطلعات الشبيبة التي كانت تسعى لحياة جديدة. إلا أن الثورة ما إن تمكنت من نفسها، ومن التاريخ، حتى أعلنت ارتيابها من كل هذه الأنشطة، بدعوى أنها أنشطة إن لم تكن وافدة من الغرب الرأسمالي، فهي عملية ذات فاعليه له.
كان الموسيقي الكبير شوستاكوفتس المذعور (علناً) مثار ذعر حقيقي ولكن (مستور) للدكتاتور ستالين. حتى أن الأخير هاجم بنفسه وبقلمه إحدى أوبرات الأول في صحيفة الحزب، باسم مُستعار طبعاً. ولم يعتمد تكليف أحد مرتزقة "الواقعية الاشتراكية" بمهاجمته.
أحسب أن الأمر تم مع العقيد الثوري كحلقة من حلقات معجزة ثورته الثقافية، التي حاكى فيها ثورة ماو الثقافية التي سبقته في الصين. تلك الثورة التي عبرت عن ارتياعها من الموسيقى، موسيقى الغرب الامبريالي، بحرق الآلة الموسيقية وتدمير عشاقها. ولم أعد أذكر عنوان أكثر الأفلام السينمائية الصينية التي أنتجت في هونك كونغ تأثيراً حول ما حدث خلال الثورة الثقافية لأستاذ ومدرسة معنية بالعزف على آلة الفايولين.
المهم، أن تلك الآلات الحزينة التي أحرقت في الساحات الليبية العامة شاءت لها ثورة الليبيين الجليلة اليوم بأن تنتقم بصورة لا يمكن أن تتلاشى من أذن مستمع ومشاهد. أغنية طلعت علينا في الانترنيت، على أثر خطاب القذافي سيّئ الصيت، والذي يُعلن فيه عن قراره بمطاردة شعبه المحتج "دار دار، بيت بيت، زنقة زنقة، حارة حارة...".

الأغنية ذات لحن شبابي راقص، يبدو فيها القذافي بارع الأداء في الغناء والحركة، بصحبة الكورس الطرب، وآلات الإيقاع واللحن الموسيقية، وهي في غمرة مسرة ملاحقتها الانتقامية المضادة للجلاد الذي فرض على الناس إحراقها ذات يوم.
الأغنية اليوم شائعة في اليوتيوب لمن يرغب.

متابعة — في اتحاد أُدباء بابل ..

احتفاء واستذكار لشاعر الحلة "حسن القيّم الحليّ"

بشار عليوي

ضمن برنامجه الاسبوعي ، احتفى إتحاد أدباء بابل في أُمسية ثقافية أدارها الشاعر صادق الطريحي ، بذكرى شاعر الحلة " حسن القيم الحليّ " (١٩٦١-١٩٠١) . حيث ألقى الباحث د. صباح نوري المرزوك من جامعة بابل دراسة نقدية عن مُنجز الشاعر وسيرته . مُتناولاً حياتهُ وشعره . فهو حسن بنَ محمد بن يوسف القيِّم الحلي ولد وعاش في بغداد ، وتوفي في مدينة الحلة، ودفن في مدينة النجف .اتصل بالشاعر حمادي نوح وأخذ عنه ، ولكنه لم يتخذ الشعر وسيلة للكسب ، فقد احترف نسج الأحزمة الحريرية المعروفة في العراق باسم " الحيص " . قال الشعر وهو في العشرين من عمره، ومات وهو على مشارف الأربعين ، له: ديوان الحاج حسن القيم الحلي، عني بجمعه وشرحه وترجمة أعلامه وسرد الحوادث التاريخية فيه: محمد علي اليعقوبي – مطبعة النجف ١٩٦٥ (يقع الديوان في مئة وأربع صحائف ، تصدرته مقدمة عرف فيها المحقق بالشاعر وأسرته (الديوان في أربعة أقسام : الحسينيات – المدائح والتهاني – الرثاء والتأبين – الوجدانيات) تدل أقسام الديوان على محاوره " الموضوعية " وهي أغراض الشعر المعروفة والمألوفة في بيئة المترجم له وعصره ، ولن يختلف أسلوبه عن المألوف من القول في مثل هذه الأغراض ، وقد لجأ إلى التشطير، كما امتدح الخليفة العثماني، وهنا قد يبدو شيء من محاولة الاختلاف، وليس كذلك ما كتبه في تقريظ الكتب . ترجم له صاحب الحصون المنيعة ترجمة إضافية وقال : جمع ديوانه بنفسه وبخطه الجيد ويبلغ خمسة عشر ألف بيت كله من الرصين المحكم وأكثره في مدايح ومراثي أهل البيت عليهم السلام كما ضمّنه مفاكهات ومراسلات مع العلماء من أحبابه والأدباء والأشراف من أترابه، أقول وكان الشيخ السماوي يحتفظ بنسخة من الديوان ويقول البعض أنها مستنسخة من نسخة المرحوم الحاج مهدي الفلوجي الحليّ ، وترجم له الشيخ آغا بزرك الطهراني في (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) وترجم له البحاثة المعاصر علي الخاقاني في شعراء الحلة . ثم تطرق المحاضر إلى ضرورة إكمال القصائد الناقصة في ديوانه المطبوع قبل ستين عاماً لنخرج بديوان شعر جديد لهذا الشاعر يضم مجمل شعره ليكون صورة تامة واضحة المعالم عنه . وفي نهاية المحاضرة تم فتح المجال للمناقشة حيث أبدى الشاعر جبار الكوّاز استفساراً حول موضع الغيبة التي كان الشاعر قيّماً عليها ، والناقد باقر جاسم محمد أشار إلى ما ورد في المحاضرة حول إشارة ابن خلدون في مقدمته الى الموضع المشار اليه ، وربط د. عماد الطالباني بين ما ورد من نصوص من شعر الشاعر ومرجعياتها في القرآن الكريم ، وتحدث د. كامل القيّم حفيد الشاعر عن جده بإبداء ذكريات عنه عن طريق جدته التي كشفت عن وجود أوراق كثيرة كانت في كيس كبير في سرداب البيت راح ضحية أحداث الحلة في سنة ١٩١٧م .

حـلـم أوروبـــا المـتـلاشـي

أورهان باموك
ترجمة: نجاح الجبيلي

حين كنت طفلاً قرأت في كتبي المدرسية ،أثناء الخمسينات والستينات، إن أوروبا كانت الحلم الوردي الأسطوري. بينما كان مصطفى أتاتورك يشكل جمهوريته الجديدة من بقايا الإمبراطورية العثمانية، التي سُحقت وتجزأت في الحرب العالمية الثانية، ويقاتل ضد الجيش اليوناني، لكن بدعم جيشه، قدم في ما بعد عدداً وافراً من إصلاحات التحديث الاجتماعية والثقافية التي هي ليست ضد الغرب بل مؤيدة له. و من أجل شرعنة هذه الإصلاحات التي ساعدت في تقوية النخبة الجديدة للدولة التركية الجديدة (والتي كانت موضوع جدل متواصل في تركيا للثمانين سنة القادمة) قمنا بالمطالبة باحتضان و تقليد حلم أوروبي وردي- قرنفلي غربي.
كانت هذه الكتب المدرسية تحتوي على نصوص صممت كي تعلمنا السبب في وجوب وجود خط يجب رسمه بين الدولة والدين، ولماذا كان من الضروري غلق مأوى الدراويش ولماذا يتوجب ترك ألف باء العربية والتحول إلى الحروف اللاتينية. لكنها كانت طافحة أيضاً بالأسئلة التي غايتها حل سر قوة أوروبا ونجاحها الكبيرين. كان معلم المدرسة المتوسطة يسأل في الامتحان "صفّ أهداف عصر النهضة ونتائجها "وكان زملائي في الصف الأكثر سذاجة يقولون : "إذا ما كنا نجلس مثل العرب على بحيرات من النفط فهل سنكون عندئذ أغنياء وحديثين مثل الأوروبيين؟". في سنتي الجامعية الأولى وحين كان زملائي في الصف يطرحون مثل هذه الأسئلة كانوا يشعرون بالقلق متسائلين "لماذا لم يكن لدينا تنوير". قال المفكر العربي ابن خلدون من القرن الرابع عشر الميلادي بأن الحضارات المتدهورة كانت قادرة على تجنب الانحلال عن طريق تقليد المنتصرين عليها. ولأن الأتراك لم يجر استعمارهم من قبل قوة عالمية فإن "عبادة أوروبا" أو "تقليد الغرب" لم يحمل أبداً المعنى الملعون المخزي الذي وصفه فرانز فانون و ف.س. نيبول أو إدوارد سعيد. إن النظرة إلى أوروبا عُدّت ضرورة أو مسألة تقنية من التكيّف أيضاً.
لكن حلم أوروبا الوردي هذا ،الذي كان في الماضي في منتهى القوة إذ أن أشد مفكرينا وسياسيينا عداءً للغرب آمنوا بشكل سري فيه، قد تلاشى الآن. ويعود السبب في ذلك ربما إلى أن تركيا لم تعد الآن فقيرة كما في الماضي. أو ربما يكمن السبب في إنها لم تعد مجتمعاً ريفياً يحكمه جيشها بل أمة ديناميكية بمجتمع مدني قوي خاص بها. في السنوات الحالية كان هناك بطبيعة الحال بطء في المباحثات بين تركيا والاتحاد الأوروبي مع عدم وجود قرار في القريب. لا يوجد أمل واقعي لدى أوروبا أو تركيا بأن الأخيرة سوف تنضم إلى الاتحاد الأوروبي في المستقبل. لكن يجب الاعتراف بأن فقدان مثل هذا الأمل سوف يكون ساحقاً مثل رؤية العلاقات مع أوروبا تنهار تماماً. لهذا لن يكون لدى أي فرد الرغبة كي ينطق بتلك الكلمات.
إن انقشاع سحر أوروبا لدى تركيا وبقية البلدان غير الغربية هو أمر عرفته من خلال رحلاتي وأحاديثي، فالسبب الرئيس للتوتر في العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي كان بلا شك التحالف الذي يضم قطاعا من الجيش التركي وجماعات الإعلام الرئيسية والأحزاب السياسية القومية التي اجتمعت كلها في حملة ناجحة لتخريب المفاوضات حول الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. هذا التحالف نفسه هو المسؤول عن حملات الاضطهاد ضدي وضد العديد من الكتاب وإطلاق النار على آخرين وقتل المبشرين ورجال الدين المسيحيين.
هناك أيضا الاستجابات العاطفية التي يمكن توضيح مغزاها بصورة أفضل بمثال العلاقات مع فرنسا. على مدى القرن الماضي كانت هناك أجيال متتابعة من النخبة التركية اتخذت فرنسا نموذجاً لها مستفيدة من فهمها العلمانية ومحتذية بدورها في التربية والأدب والفن. لذلك فإن بروز فرنسا في السنوات الخمس الماضية كبلد معارض قوي لفكرة انضمام تركيا إلى أوروبا كان أمراً مفجعاً مدمراً. غير أن تورط أوروبا في حرب العراق هو الذي أثار الغضب وسبّب خيبة أمل شديدة في البلدان غير الغربية وفي تركيا. راقب العالم كيفية خداع بوش أوروبا وتوريطها في هذه الحرب القاسية غير الشرعية، بينما تظهر استعداداً سريعاً لهذه الخدعة.
حين ننظر إلى مشهد أوروبا من إسطنبول وما وراءها فإن أول شيء نراه أن أوروبا بصورة عامة (مثل الاتحاد الأوروبي) قلقة حول المشاكل الداخلية. ومن الواضح أن أهل أوروبا أقل تجربة من الأمريكان في التعايش مع أولئك الذي يختلفون معهم في الدين والبشرة واللون أو الهوية الحضارية، وأن العديد منهم غير متحمسين لفكرة أن هذه المقاومة للغرباء تجعل من مشاكل أوروبا الداخلية كلها عسيرة. والمناقشات الحالية في ألمانيا حول التكامل والتعددية الثقافية – وبالأخص أقليتها التركية الكبيرة- هي مثال مهم.
وبينما تتعمق الأزمة الاقتصادية وتنتشر فإن أوروبا ربما تكون قادرة ، عن طريق ترتيب نفسها، على تأجيل صراعها للحفاظ على ثقافة "البرجوازية" بالمعنى الفلوبيري للكلمة لكن هذا لن يحل المشكلة. حين أنظر إلى إسطنبول التي أصبحت معقدة قليلاً وكوزموبوليتانية مع كل عام وتجذب الآن المهاجرين من آسيا وأفريقيا فليست لدي مشكلة في الاستنتاج أن الفقراء والعاطلين والمحرومين من آسيا وأفريقيا الذين يبحثون عن أماكن جديدة للعيش والعمل لا يمكن أن يدخلوا أوروبا بالتأكيد. فالجدران العالية والقيود الشديدة على الفيزا والسفن التي تجول الحدود في أعداد متزايدة لن تؤجل يوم الحساب. والأسوأ أن السياسات المعادية للمهاجرين والتحيزات تدمر مسبقاً القيم المركزية التي جعلت أوروبا على ما كانت عليه.
في الكتب المدرسية التي قرأتها في طفولتي لم يكن هناك نقاش حول الديمقراطية أو حقوق النساء بل عن الكلمات المطبوعة على علب سجائر "الغلواز" التي كان يدخنها المفكرون والفنانون الفرنسيون (أو كما اعتقدنا) "حرية، مساواة، إخاء" وكانت تلك هي الأكثر شيوعا.
كلمة "الإخاء" جاءت لتعبر عن روح التضامن والمقاومة وروّجت لها حركات اليسار. لكن القسوة تجاه معاناة المهاجرين والأقليات ومعاقبة الآسيويين والأفريقيين والمسلمين التي تؤدي الآن إلى صعوبة العيش في محيط أوروبا – وتحميلهم وحدهم مسؤولية الكوارث- لا تجسد معنى "الأخوة". نستطيع أن نفهم كم من الأوروبيين ربما يعاني القلق أو حتى الذعر بينما هم يبحثون في الحفاظ على التقاليد الثقافية العظمى لأوروبا والربح من الثروة التي يرغب بها بشدة العالم غير الغربي والاحتفاظ بالمكاسب التي جرى الحصول عليها على مدى العديد من قرون الصراع الطبقي والكولونيالية والحرب الضروس. لكن إن كان على أوروبا أن تحمي نفسها فهل سيكون من الأفضل لها أن تتحول إلى الداخل او يجب أن تتذكر ربما قيمها الجوهرية التي جعلت منها في الماضي مركز الثقل بالنسبة لكل مفكري العالم؟

المصدر:
The New york Review of Books
١٠ شباط ٢٠١١

رحيل عالم الآثار العراقي دوني جورج

متابعة/ المدى الثقافي

غيّب الموت أمس الأول عالم الآثار العراقي دوني جورج في قطار تورنتو في كندا إثر جلطة قلبية ألمّت به.

ويعدّ الراحل أحد أعلام الآثار والتراث في العراق ، وغادره عام ٢٠٠٦ بسبب تردّي الوضع الأمني في العراق بعد تقاعده من عمله كمدير عام للمتاحف العراقية ورئيس لهيئة الآثار.. وكان قد شغل قبل ذلك العديد من المناصب إضافة إلى جهوده في أعمال التوثيق والمسح والصيانة والتنقيب عن الآثار في معظم مناطق العراق.
ولد العالم دوني جورج عام ١٩٥٠.. وتخرج من كلية الآداب قسم الآثار عام ١٩٧٤ ليصل موظفاً في المتحف العراقي، وتتلمذ على أيدي علماء الآثار الكبار،مثل فؤاد سفر، وبهنام أبو الصفوف.
وفي عام ١٩٩٥ نال درجة الدكتوراه في تخصص آثار ما قبل التاريخ من جامعة بغداد.. كما عمل أستاذاً زائراً في جامعة نيويورك.
ولقد لعب الراحل دوراً مهماً، في متابعة استرجاع التحف واللقى الأثرية التي نهبت بعد دخول القوات المتعددة الجنسية إلى بغداد بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣،ما جعله معروفاً على النطاق العالمي بأنه (الرجل الذي أنقذ المتحف الوطني العراقي).